

دولة آل زايد: نهاية «الأمن والأمان»

«إعصار اليمن الثالث» في غضون أقل من شهر، وضع دولة الإمارات وحکّامها في وضع لا يُحسدون عليه، سُمّاه مسؤول إماراتي، وإن من باب إعلان رفضه، بـ«الواقع الجديد» الذي تُقصى فيه هذه الدولة بشكل متكرر، ما يُفقد مواطنها والمقيمين فيها نعمة «الأمن والأمان» التي كانت الرأسمال الأكبر، لأن الأبراج والمنشآت من دونها تصبح مكاناً مخيفاً يتعمّد الابتعاد عنه. ولعلّ تعمّد قصف الدولة في توقيت يجعله «ترحيباً» على الطريقة اليمانية برئيس كيان العدو، يتتساق هرتسوغ، لأبو طبي، كان الرسالة الأبلغ ذات الأهداف المتعدّدة، حيث ظهر مقاتلو اليمن بصفتهم خطّ التصدّي الأول للدخول الأمني الإسرائيلي إلى الخليج، الذي جعله حكّام أبو طبي ممكناً، وفضحوا الشراكة الإسرائيلية التي أرادها العدو مكتومة في العداون على بلادهم

كان شريط مصوّر تداوله المقيمون في الإمارات لصاروخ واحد أثناء سقوطه في أبو طبي، بُعيد منتصف ليل الأحد - الاثنين، كافياً لاختزال كلّ الأبعاد التي حملتها عملية «إعصار اليمن 3»، التي استهدفت بعدد من المواريث الباليستية من نوع «ذو الفقار» والطائرات المسيّرة من نوع «صماد 3»، منشآت حيوية في دبي وأبو طبي، ولا سيما ذلك التزامن الذي بدا متعمّداً مع وصول الرئيس الإسرائيلي، يتتساق هرتسوغ، الذي اضطرّ مكتبه إلى إصدار بيان يقول إنه «ليس في خطر، وسيواصل زيارته للإمارات التي تستمر 48 ساعة».

قبل الهجوم بساعات، كان الذباب الإلكتروني الإماراتي يردّد مقوله «اللهم أدم علينا نعمة الأمن والأمان»، التي سقطت مع انهيار المواريث والسيّرات على دبي وأبو طبي، ليحلّ محلها الذعر، وهي مقوله لطالما استخدماها حكّام أبو طبي والرياض لإدامة ليس هذه النعمة، وإنّما تسلّطهم على رقاب شعوبهم، وتأمرهم على دول أخرى قريبة وبعيدة،عكس ما يفترض الحفاظ على «الأمن والأمان»، وأوله عدم الاعتداء على الآخرين. فهل قتل أطفال اليمن، والتماهي الذي يُظهره حكّام أبو طبي مع قتلة أطفال فلسطين، يديم تلك الحالة؟ لا بدّ أن هذا سؤال دار في خلد كلّ إماراتي، وهو يرى الحال التي انتقلت إليها بلاده منذ عودتها للتورّط في العداون على اليمن، وإيغالها في فتح أبواب الخليج، ولا سيما

أمنياً، أمام الإسرائيлиين.

ومثلما فعلت في «الإعصارين» الأوّلين، سعت الإمارات إلى امتصاص الصدمة من خلال الاعتراف الجزئي بالهجوم، والقول إنه تمّ «اعتراض صاروخ واحد، سقط جزء منه خارج المناطق المأهولة ولم يَنْتج منه أي خسائر، كما تمّ قصف منصة الإطلاق في محافظة الجوف اليمنية»، لكن الواقع تختلف كلياً، خصوصاً أن بيانات الملاحة الجوية الدولية تحدّث عن توقيف حركة الملاحة فوق مطار أبو ظبي خلال الهجوم، على رغم نفي شركة «طيران الإمارات» و«الاتحاد للطيران» ذلك. كما أن الصورة التي نقلها مقيمون في الإمارات، أظهرت هلاعاً في دبي وأبو ظبي لحظة بدء الهجوم. في المقابل، ما إن انفجرت المواريث والمسيرات في أهدافها، حتى انفجر معها الابتهاج عربياً، والذي ملّ الفضاء الإلكتروني بالدعوات لـ«شرفاء اليمن»، وهو ما لا يحصل عادة في العالم العربي إلا إذا كان المستهدف هو إسرائيل. والأمر كان كذلك بشكل ما، وفق ما لمّح إليه بيان «أنصار الله»، الذي قال إن «الإمارات ستظلّ غير آمنة طالما استمرّت أدوات العدو الإسرائيلي في أبو ظبي ودبي في شنّ العدوان على شعبنا وبلدنا».

ومن الأبعاد التي حملها «الإعصار الثالث» أنه صوّب على التدخل الإسرائيلي كشريك كامل في العدوان على اليمن، بعدما حرم العدو على التدخل المكتوم، وفق ما أظهرت المشاركة الإسرائيلية الفاعلة عبر التغطية النارية الكثيفة بالطائرات المسيرة القادرة على حمل صواريخ دقيقة، في الهجوم في محافظة شبوة، والذي هو عملياً عدوان مشترك إماراتي - إسرائيلي، مثّلت أداته البرية «ألوية العمالة» السلفية، وهذا يؤكد أن إسرائيل صارت هدفاً بصفتها شريكاً مباشراً في العدوان، بمعزل عن كون «أنصار الله» جزءاً من محور المقاومة، وكانت قد تعهّدت بهذه الصفة بالمشاركة في الدفاع عن القدس. كذلك، صار على المواطنين الإماراتيين والمستثمرين والمقيمين الذين يتقدّم المسؤولون الإماراتيون بأنهم ينتسبون إلى أكثر من 200 جنسية، التعايش مع «واقع جديد» تُقصّف فيه الإمارات بصورة متكرّرة، طالما هي شريكة في العدوان، ما يعرّض استثماراتهم وأمنهم للخطر، وهو ما ظهرت بعض مفاعيله في تحذير وزارة الخارجية الأمريكية مواطنيها من السفر إلى الإمارات الأسبوع الماضي.

لكن أخطر ما في اللعبة الإماراتية بإشراك إسرائيل في الأمن الخليجي، هو البُعد الإقليمي له، إذ بدأت تثير الأرياحيةُ التي يتمتّع بها المسؤولون الإسرائيليون في الإمارات حساسية في إيران، وخاصة أن المعلومات تفيد بأن الإيرانيين أبلغوا مستشار الأمن القومي الإماراتي، طحنون بن زايد، خلال زيارته طهران ساعياً لتحسين العلاقات معها، بأن ذلك يفترض أولاً تعهّداً من الإمارات إلى جلب الإسرائيليين إلى مقربة من الحدود الإيرانية، لكن أبو ظبي تعتمد أسلوب المراوغة، سواء في ما تقدّم أو في وقف تدخّلها في اليمن. وفي هذا السياق، نقلت صحيفة «وول ستريت جورنال» عن حساب على «تويتر» قالت إنه مرتبط بالحرس الثوري الإيراني، القول إن «حضور النظام الصهيوني في الخليج الفارسي غير مقبول بالنسبة للجمهورية الإسلامية في إيران. سيادة محمد بن زايد، لا يطهّر خطوات الشيطان في الخليج الفارسي إلا النار. وسوف نأتيك بها».

على رغم كلّ تطمينات الحكماء لـ«من هم في الإمارات، إلّا أن الدولة صارت في وضع صعب، لن يكون خروجها منه يسيراً»، نظراً للرهانات المقامرة التي اتّخذتها أبو ظبي لحماية نظامها. و«الأمن والأمان» الذي بناه زايد بن سلطان، عبر عشرات السنين من حبك العلاقات مع القبائل ثمّ مع الدول القريبة والبعيدة، ولو دائماً بالاستناد إلى رعاية غربية، أصبح في مهبّ ريح السياسات التي يعتمدها ابن زايد. فقد أثبتت السنون الطويلة من الصراع العربي - الإسرائيلي أن الذي يركب هذا المركب ويبحر به عكس التيار الشعبي الجارف، مصيره لن يكون أحسن من مصير أنور السادات الذي سبق أن ركب مثله.